ابن قتيبة الدينوري

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، وهو نحوي لغوي، ولد بالكوفة وولي قضاء الدينور، وتوفي في بغداد سنة276 هـ، تتلمذ منذ نعومة أضفاره على أئمة اللغة والأدب، وأثمر علمه وتعليمه عن تصانيف كثيرة تناولت معارف أهل زمانه وقد حذا فيها حذو المبرزين من معاصريه أمثال الجاحظ، ولم تكن اهتماماته المعرفية حصيرة نطاقها الأدبي وحسب، فقد كان من المدافعين عن السنة والكتاب ضد النزعات الفلسفية والتيارات الفكرية التي عرفت في عصره، لذلك فقد تعرض للاتهام بالزندقة والانحراف عن الطريق القويم.

ولعلّ أكثر ما أكسب ابن قتيبة شهرة واسعة هي قضايا النقد العربي القديم التي أرساها في كتابيه: الشعر والشعراء، وأدب الكاتب، لاسيما فيما يتعلق بقضية اللفظ والمعنى التي أثيرت في عصره، حيث انقسم النقاد فيها إلى قسمين: أحدهما يرى الإبداع متحقق في جودة السبل واللغة وتنميق المعاني في الألفاظ الحسنة، وبعضهم يرى الإبداع في اختلاق المعاني والمبادرة إليها، إلا أن ابن قتيبة قد قام بمعالجة القضية من خلال ما أشار إليه من ظروف التراكيب حيث قسم الشعر إلى أربعة أضرب: ما حَسُنَ لفظه ومعناه. ما ساءَ لفظه ومعناه. ما حَسُنَ لفظه دون معناه. ما ساءَ لفظه دون معناه. شيوخ ابن قتيبة وتلاميذه تتلمذ ابن قتيبة على كثير من أئمّة العلم والأدب، فجمع في شخصه زبدة ما لديهم من مختلف العلوم المتعلقة باللغة والأدب والحديث والأخبار، وقد قال في ذلك عن نفسه: "وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيه بسهم"، ويعد إسحاق بن راهويه ومحمد بن زياد الزيادي، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي، والجاحظ، بالإضافة إلى والده مسلم.

وقد شكل ابن قتيبة بفضل تتلمذه على هؤلاء الشيوخ في مختلف ثقافاتهم وتخصصاتهم العلمية موسوعة معرفية متكاملة، هيأته ليكون ناقدًا بارزًا، ذا معرفة عميقة ونظر ثاقب. وقد تهافت التلاميذ على ابن قتيبة ينهلون من علمه الغزير و ويملأون جعبتهم بما يقدمه لهم من ألوان المعرفة المختلفة، ولعل من أبرز تلاميذه: ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة، وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه، وعبيد الله بن عبد الرحمن السكري وغيرهمز وقد حمل كل هؤلاء علمهم ومعرفتهم لمن بعدهم لتبقى مسيرة العلم خالدة. مؤلفات ابن قتيبة كما أورث ابن قتيبة تلاميذه علمه، فقد خلف وراءه الكثير من المصنفات والمؤلفات العلمية والأدبية والنقدية، وقد شكلت بمجملها مكتبة شاملة تزخر بالكثير من العلوم والمعارف، ولعل من أبرز هذه المؤلفات:

تأويل مختلف الحديث: وهو كتاب مخصص في دراسة الأحاديث التي وردت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واختلف في تفسيرها وتأويلها.

أدب الكاتب: وهو كتاب أدبي مخصص لفئة الأدباء من القراء، إذ يحرص فيه على تعليم شروط الكتابة وقواعدها بغية الرقي بالكتابات الإبداعية والنهوض بها.

المعارف: ويبدو موضوع هذا الكتاب من عنوانه فهو شامل لجميع ألوان المعرفة من قصص الأنبياء وذرياتهم وأصل الخلق وفيه ذكر لأنساب العرب وعمائر الأرض.

المعاني: وفي هذا الكتاب قام ابن قتيبة بجمع أشعار العرب وتصنيفها وفقًا لموضوعاتها ومعانيها، ويفسر من خلالها كثيرًا من ألفاظ العربية التي عجزت معاجم اللغة عن تبيانها.

عيون الأخبار: وهو كتاب مؤنس للقارئ عمد ابن قتيبة فيه لاتباع منهج جديد يكون لطيفًا ولا يشعر القارئ بالضجر والملل، وتناول فيه أخبار الزهاد وأخبار السلاطين وآداب الحرب ومكائدها، وكثيرًا من طرائف العرب ونوادرهم.[

الشعر والشعراء: وهو أشبه بمعجم للشعراء، إلا أن ابن قتيبة قد اقتصر فيه على عرض المشاهير من الشعراء الذين يحتج باقوالهم وقصائدهم في اللغة والنحو، وقد ترجم لكل شاعر منهم وأورد أشعاره وقصائده، وقد حرص على ترتيب الشعراء فيه ترتيبًا زمنيًا بدءًا من العصر الجاهلي.

الإمامة والسياسة: اختلف الدارسون في نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة إلا أن صياغته وطريقة عرضه للبيانات تشهد بنسبته إليه، وقد تناول فيه ابن قتيبة أبرز أخبار الخلفاء، والخلافات التي دارت في فترة حكمهم وخلافتهم.

الرد على الشعوبية: وتفرغ في أبوابه للرد على الشعوبية والزنادقة والخارجين عن الدين، وقد اتبع في سبيل ذلك مناهج قائمة على البراهين والعلل.

الاشتقاق: وعرض ابن قتيبة من خلال هذا الكتاب لخاصية الاشتقاق التي تمتاز بها اللغة العربية عن غيرها، وتناول فيها المفردات واشتقاقاتها واختلاف معانيها تبعًا لذلك وصنفها تبعًا لدلالاتها كاشتقاق أسماء الأمكنة.

تفسير غريب القرآن: وقد عمد فيه ابن قتيبة لتفسير المفردات والتراكيب وتوضيحها وتجنب ما فعله المفسرون من قبله من إيراد الأسانيد وسوق الأحاديث والتعقيب بالنحو والصرف، وقد كان مرجعًا ومصدرًا غنيًا لمن بعده، إذ عمد من جاء بعده لاختصاره وتلخيصه.

( إعداد د. شاكركتاب )